ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(194)
هذا هو الحسين (ج٢٧)
ثأر الحسين السر الاعظم للرجعة العظيمة (ج١)
السبت : ١٢/محرم/١٤٤٣هـ - الموافق ٢١/٨/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

يقولُ سَيِّدُ الأوصياء صلواتُ الله وسلامهُ عليه: "**وَإِنَّمَا جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ هَذِهِ الرُّمُوزَ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ وَغَيْرُ أَنْبِيَائِهِ وَحُجَجِهِ فِي أَرْضِهِ**"، أقرأُ عليكم من كتاب الاحتجاج/ للطبرسي/ طبعةٌ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ ذاتُ المجلَّد الواحد الَّذي يشتملُ على الجزأين، إنَّها الصفحةُ الثانيةُ والخمسون بعد المئتين في حديثٍ طويلٍ وطويلٍ لسيد الأوصياء صلواتُ الله وسلامهُ عليه.
يُحدِّثنا أميرُ المؤمنين عن رُموز القُرآن، وتلكَ هي خصائصُ كتاب الله، وخصائصُ كتاب الله هي هي خصائصُ حديث رسول الله وآل رسول الله، من هنا فإنَّ النَّبي تركَ لنا العمودين؛ (القُرآنَ والعترة)، ونحنُ في زمانِ الغَيْبَةِ الَّذي بأيدينا من العترةِ حديثهم، فالَّذي يجعلُنا متمسِّكينَ بدينِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ هو تمسُّكنا بقُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم وحديثهم المفهمِ بقواعدِ تفهيمهم.
الرموزَ الَّتي يتحدَّثُ عنها سيدُ الأوصياء في الكتابِ الكريم:
- منها حروفٌ في أوائلِ السور.
- ومنها أمثلةٌ ضربها لنا القُرآن، بعضُ الأمثلة وقائعُ حدثت على الأرض، وبعضُ الأمثلة صُورٌ مُفترضةٌ افترضها القُرآنُ لنا.
- ومن الرموزِ "المصطلحاتُ المتحركةُ"، فعنوانُ الطاغوت عنوانٌ مُتحرِّكٌ، وعنوانُ فرعون عنوانٌ مُتحرِّكٌ وهكذا، فهناك مصطلحاتُ الخير المتحرِّكة، وهناك مُصطلحات الشر المتحركة.
وتلكَ الرموزُ في القُرآنِ وفي الحديثِ هي الَّتي عَبَّرَ عنها آلُ مُحَمَّدٍ "بلحنِ القول"، وعَبَّروا عنها "بمعاريضِ الكلام"، فلحنُ القولِ ومعاريضُ الكلامِ هي هذه الرموزُ الَّتي يتحدَّثُ عنها سيدُ الأوصياء.
إلى أن يقول سيدُ الأوصياء: **قَسَّمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ** - سبحانهُ وتعالى في كتابه الكريم، وهذا الأمرُ هُوَ هُوَ في حديثهم أيضاً - **فَجَعَلَ قِسْماً مِنْهُ يَعْرِفُهُ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ** - ما ذ أخذهُ من معاني القُرآنِ في مُستوى لُغة العربِ وآدابها، فهذا أمرٌ يُدركهُ العالِمُ والجاهل، وهذا أفقٌ من آفاق القُرآن، فَالقُرآنُ لهُ مطالِعُ ومجارٍ إنَّها القاعدةُ العظمى في منهجِ التفسيرِ العلويّ.
-**وَقِسْماً لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ صَفَا ذِهْنُهُ وَلَطُفَ حِسُّهُ وَصَحَّ تَمْيِيزُهُ مِمَّنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** - تلكَ هي الرموزُ، وذلكَ هو لحنُ القولِ، وتلك معاريضُ كلامهم، إنَّها حقائقُ التفسيرِ في حديثهم.
وَقِسْماً لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللهُ وَأُمَنَاؤُهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ - هذه آفاقٌ؛
- هناك أفقٌ في القُرآنِ يعرفهُ العالِمُ والجاهل.
- وهناك أفقٌ في القرآنِ لا يعرفهُ إلَّا مَن صفا ذهنهُ من شيعتهم من علماءِ شيعتهم.
• **خُلاصةُ القول.**
خُلاصةُ القول: القُرآنُ فيه رموزٌ، وهذه الرموزُ لن نستطيعَ الوصولَ إليها إلَّا من خلال تفسيرهم هم لقُرآنهم، وذلك لا يكونُ إلَّا من خلال توفيقهم إيَّانا لفتحِ بصائرنا، وفتحِ قلوبنا، كي نعيَ ما يقولون، نحنُ بحاجة إلى أُذنٍ واعية، "وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَة"، الأذنُ الواعية؛ هي أُذُن العقل، هي أُذُن القلب، أنَّ الَّذي نَسمعهُ بأسماعنا لن يمرَّ إلَّا عبرَ بصيرة العقلِ وبصيرة القلب، وذلكَ لن يكونَ إلَّا بتوفيقٍ من إمامِ زماننا صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.
ما المرادُ من العقيدة؟!
العقيدةُ؛ معلوماتٌ صحيحةٌ عن الوُجودِ والكون، حتَّى نستطيع أن نتوائمَ مع هذا الكونِ في سُننه كي نسيرَ المسيرة الصحيحة باختيارنا، مثلما كانت المسيرةُ التكوينيةُ لنا عبر أصلابِ آبائنا وأرحامِ أُمَّهاتنا من دُونِ اختيارٍ ظاهرٍ لنا، نعم لنا اختياراتٌ في المراتبِ المتقدِّمة قبل نزولنا إلى عالمِ الأرض، لكنَّني لا أريدُ الحديث عن هذه التفاصيل، الَّذي نستشعرهُ والَّذي نتلمَّسهُ، أنَّنا في مرحلة الانتقالِ من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات إلى خروجنا إلى الدنيا وحتَّى بعد خروجنا إلى الدنيا تُقلِّبنا أيدي الأُمَّهاتِ والآباء لا نملكُ من أمرنا شيئاً، وليس لنا من الاختياراتِ ما لَنا، بحسبِ ظاهرِ أحوالنا في ذلك المقطع من وجودنا.
لكنَّنا حين نُدركُ الدينَ ونُدركُ العقيدةَ في الزمان الَّذي نتمكَّنُ من ذلكَ في حياتنا فإنَّ إدراكنا للعقيدة الصحيحة هو معرفةٌ بواقع التكوينِ من حولنا، قد لا نُدركُ أسرار التكوين، لكنَّنا إذا ما عَرفنا من أنَّنا نأخذُ العقيدةَ من سادةِ التكوين، إذا عَرفنا سادَةَ التكوينَ الَّذين نُخاطبهم في زيارتهم الجامعة الكبيرة: "**وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُم** "، كُلُّ شيء؛ ما يرتبطُ بالتكوينِ، ما يرتبطُ بالتشريع، وما يرتبطُ بغيرهما، فهؤلاء هُم سادةُ التكوين، إذا اتَّفقنا على هذا فإنَّنا نأخذُ العقيدة منهم، تلك ا لعقيدةُ وإن كُنَّا لا نعرفُ تفاصيلَ أسرارها التكوينية، لكنَّها تُمثِّلُ لنا خارطةً سليمةً في مسارنا، في هذا الوجود الفسيح وفي عالمِ التكوينِ هذا، نحنُ نقطعُ مرحلةً مُختصرةً هي أعمارنا، أعمارنا مرحلةٌ وجيزةٌ، الطريقُ التكويني أمامنا طويلٌ، وما الموتُ إلَّا بوّابة. يا أشياعَ عليٍ أدركوا هذه الحقيقة؛ الموتُ بوّابةٌ.
في دُعاء اليوم الثالث من شعبان:
إنَّهُ يومُ ولادة الحُسَين، هذا الدعاءُ المرويُّ عن إمامنا الحسن العسكري ما يرتبطُ بالرّجْعَة العظيمة، من (مفاتيح الجنان) إنَّهُ الحُسَين: **قَتِيلِ الْعَبْرَة** - بحسبِ السياق، فإنَّني لا أقرأ من أوَّل فقرات الدعاء - **قَتِيلِ الْعَبْرَةِ وَسَيِّدِ الْأُسْرَةِ الْمَمْدُودِ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ الْكَرَّةِ، الْمُعَوَّضِ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ نَسْلِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَالْفَوْزَ مَعَهُ فِي أَوْبَتِهِ، وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ عِتْرَتِهِ بَعْدَ قَائِمِهِمْ وَغَيْبَتِهِ حَتَّى يُدْرِكُوا الْأَوْتَارَ وَيَثْأَرُوا الثَّارَ وَيُرْضُوا الْجَبَّارَ وَيَكُونُوا خَيْرَ أَنْصَارٍ** - لا أريدُ أن أشرَح هذه الكلمات مر الحديثُ عنها.

لكنّني ألفتُ أنظاركم؛ إذا كُنّا نفهمُ هذه الجُمل من أنَّ الحُسين قُتل في أرض كربلاء وبسببِ هذا القتل هناك تعويضٌ من الله بالتفاصيل الّتي أشارَ إليها الدُّعاء الشريف كما يُعوَّضُ شَخصٌ في هذه الدنيا بتعويض عن جُهد بَذَلَهُ عن أمرٍ قامَ به فهذا في الحقيقة كُفر بمشروعِ عاشوراء، وكُفرٌ بحقيقة الرّجْعَة العظيمة، هذا الدعاء يشتملُ على رموزٍ، وهذه الرموزُ لابُدَّ أن تُفهّم مثلما قدَّمتُ لكم: "القرآنُ فيهِ رموز وكلامهم فيه رموز في زياراتهم في أدعيتهمَ في أحاديثهم".

هذه الجُملُ من أوَّلها إلى آخرها ملفوفةٌ برموز، ومُطرّزةٌ برموز ومُشبَعةٌ برموز.

فإنَّ الله سُبحانهُ وتعالى خلقَ الكونَ لأجلهم، القضيّةُ ما هي بقضيّة تشريع، التشريعُ نعمةٌ وفضلٌ منهم من مُحَمَّد وآل مُحَمَّد تفضَّلوا به علينا لأجل أن تكونَ مسيرتنا مُوائمةً لمسارهم التكويني، تلكَ هي حقيقةُ التشريع، وذلكَ هو الدين، وإلَّا فالكونُ خُلِق لأجلهم وفي محبّتهم، وهذا هو مضمونُ ما قالهُ الله سُبحانهُ وتعالى لقُطّان الملأ الأعلى في حديث الكساء اليماني والَّذي حدَّثتنا بهِ فَاطِمَةُ مُباشرةً عَن الله، فَاطِمَةُ كانت تستمعُ وكانت تُصغي وكان حديثُ الله مع قُطّانِ الملأ الأعلى يصلُ إلى مسامعها وحدَّثتنا بذلك..

"ويثأروا الثَّار" هذه رموز، الثَّأرُ الحُسينيّ ما هو بثأرٍ عشائريٍّ، الثَّأرُ الحُسينيّ أمرٌ تكوينيّ عميقٌ عميق يضربُ في الأعماق، وهذا هو الَّذي أريدُ أن أُبيِّنهُ لكم - **حَتَّى يَدْرِكُوا الأَوْتَار وَيَثْأَرُوا الثَّار وَيُرْضُوا الجَبَّار وَيَكُونُوا خَيْرَ أَنْصَار.**

• **سأبدأ معكم من برنامج الخلافة الإلهيّة.**

الآيةُ الثلاثون بعد البسملة من سورة البقرة: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**﴾.

مشروعُ الخلافة حينما عرضهُ الله على الملائكة اعترضَ الملائكةُ بموضوعِ سَفْكَ الدَّم، وعندنا روايات جاء في رواياتٍ من أنَّ الملائكة اعترضوا لأجل دَمِ الحُسينِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وحتَّى لو لم تَرِد روا ياتٌ وأحاديث المنطقُ يقول من أنَّ الملائكة إذا ما أرادوا الاعتراضَ على الَّذي سيجري في الأرض بخصوص موضوعِ الدِّماء فإنَّهم سيعترضونَ بالدرجة الأولى اعتراضاً يرتبطُ بسفكِ دماءِ الحُسَين، ولا أعتقدُ أنَّ القضيّة تحتاجُ إلى كثيرٍ من الكلامِ وكثيرٍ من التدبّرِ والتأمّل.

الدَّمُ مُرتبطٌ بشكلٍ واضح بمشروعِ الخلافة الإلهيّة، وهذا الارتباطُ ما هو بارتباط تشريعيٍّ، هذا ارتباطٌ تكوينيٌّ، ليسَ هناك من حديث عن الدينِ أساساً، لا علاقة للدينِ بهذا الموضوع، فَالدينُ تشريعٌ يأتي بعد ذلك، هناك قضيّةٌ تكوينيّةٌ، الدينُ يرتبطُ بها ارتباطاً من بعض الجهات.

﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾، هذا المشروعُ جَعَلَ الأرض عاصمةً للكون، وهذا الخليفةُ ما هو بخليفة بحدود الأرض إنَّهُ خليفةٌ على الكونِ كُلِّه، والعصر القائمي الأوَّل هو عصر لانفتاح عوالم الغَيبِ على عوالم الشهادة فالأمر ليس مُختصّاً بكوكبِ الأرض.

في سورة ص، الآية السادسة والعشرين بعد البسملة دقّقوا النظر في الآية: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾، جَعَلناك خَليفةً، أنت لَكَ مسؤوليّةٌ محدودةٌ في جهة من الأرض، داوودُ لم يكن من أولي العزم، داوودُ لم يكن صاحب شريعة مُطلقة على جميع البشر، داوودُ كان نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل، في دائرة بني إسرائيل، وأنبياء بني إسرائيل ديانتهم لم تكن ناسخةً للديانة الإبراهيميّة لأنَّها محدودةٌ بهم، الديانةُ الإبراهيميّةُ كانت قائمةً، وأوصياء إبراهيم استمروا إلى زمان مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، وآخرُ أوصياء إبراهيم أبو طالب، فالديانةُ الإبراهيميّةُ لم تُنسخ، نسخها مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله، موسى ما نسخها فأنَّى لداوود أن ينسخها؟!

- ﴿**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، هذا مسارٌ تكوينيٌّ، أنتم لستم مطّلعين على أسراره.

لَمَّا اطّلعوا على أسراره سجدوا لآدم، الحكايةُ ما هي بحكاية لآدم، هذه حكايةُ مُحمد اطّلعوا على الأسرار: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ**﴾، اطّلعوا على الأسرار، بعد ذلك سجدوا، إذاً الخلافةُ خلافة مُحَمَّد، والبرنامجُ برنامجُ مُحَمَّد، وبرنامجُ مُحَمَّد برنامج تكويني ما خلقتُ هذا الكون إلَّا لأجله القضيّةُ ما هي كلام، الدينُ والتشريعُ خارطةُ طريقٍ لنا كي نتوائم مع هذا المسارِ التكويني، مسارِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، "وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم"، القضيّةُ عميقةٌ عميقةٌ.

في سورة لقمان:

الآية العشرين بعد البسملة: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ إذا كان هذا الخطابُ يُوجَّهُ لي ولكم، قطعاً بدرجة من الدرجات، في مطلع من مطالع الآية، المطلعُ الأعظمُ، التأويلُ الأعظمُ، والمجرى الأتمُّ يُوجَّهُ لمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، السماوات مُسخَّرةٌ والأرضُ مسخّرةٌ والأرض سُخِّرت بمثابة عاصمة، لو كانت الخلافةُ بحدود الأرض فلماذا تُسخَّرُ السَّماواتُ؟ إنَّهُ المشروعُ المَهدويُّ الأعظم، حيثُ تُفتحُ عوالمُ الغيبِ على عوالمِ الشهادة ويرتقى إلى عصرِ الرّجْعَة العَظيمة، هذا هو قرآننا في الحقيقة قرآنهم، قُرآن مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله عليهم.

إذا كانت الخلافةُ بحدود الأرض فلماذا تُسخَّرُ السَّماواتُ بقضّها وقضيضها لماذا؟!

وماذا بعد؟ - ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾، لا توجدُ ألفاظٌ أخرى في اللغة كي تأتي بها الآيةُ لبيانِ السُّلطة المطلقة.

إذا كانت الخلافةُ بحدود كوكبِ الأرض لماذا كُلُّ هذا؟! لأنَّ الأرض جُعلت عاصمةً لهذا الكون، وهذا الخليفةُ ما هو بآدم، إذا كان الحديثُ عن آدم فإنَّما يأتي بعنوان رمز، ما قلنا من أنَّ القُرآنَ فيه رموز، والآياتُ لها مطالع ولها مجاري.

-﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾، هذا في جانب الدينِ الَّذي يُريدُ أن يرسمَ لنا خارطةَ طريقٍ في هذا المسار التكوينيّ العَظيم، نحنُ حين انتقلنا من أصلابِ آبائنا إلى أرحامِ أمّهاتنا، هل هناك من دينٍ؟ هل هناك من تشريع؟ إنَّهُ مسارٌ تكويني، وحينما خرجنا من أرحامِ أمّهاتنا إلى الدنيا حتَّى وصلنا إلى السنّ الَّذي يجبُ علينا أن نمتلكَ رؤيةً في مسارنا هذا فليسَ هُناكَ من حديث عن تكليف شرعي، إنَّما هي تربيةٌ تمهيديّةٌ لأجلِ أن نصل إلى الحدِّ الَّذي بإمكاننا أن نُدركَ العقيدة السّليمة الَّتي هي خارطةُ طريقٍ في هذا المسارِ التكويني، وما العباداتُ إلَّا هي جزءٌ من هذه الخارطة، وما الواجباتُ والمحرّماتُ إلَّا أجزاء من هذه الخارطة.

في سورة الجاثية:

الآية الثالثة بعد العاشرة بعد البسملة وما بعدها: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْه**﴾ - سَخَّر لَكُم كُلَّ شيء - **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون** - مباشرةً الآيةُ الَّتي بعدها - ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّه**﴾ الظهور، الرّجْعَة، القيامة، أيّامُ الله ثلاثة، هناك ارتباطٌ

واضحٌ في رموز القُرآن ومُصطلحاته المتحرِّكة وفي مطالع آياته ومجاريها بحسبِ المنهج العَلَويّ لتفسيرِ قرآنهم ارتباطٌ واضحٌ بين برنامج الخِلافة في بُعده التكويني وتسخيرِ السَّماوات والأرض لهذا الخليفة المطلق.

إذا كان الخطاب لي ولكم، فهو خطابٌ نسبيّ، لكن إذا كان الخطابُ لـمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ فهذا واضحٌ من الزيارة الجامعة الكبيرة: "وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم"، "إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيكُم".

في تفسير القُمّي: **بِسنده عَن دَاوُود بنِ كَثِير، عَن إِمَامنَا الصَّادِق صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه، فِي قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: "قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّه"** - الإِمَامُ يُفَسِّر لنا الآية - **قَالَ: قُلْ لِلَّذِينَ مَنَنَّا عَلَيهِم بِمَعْرِفَتِنَا أَنْ يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** - لِلَّذين لا يعلمونَ معرفتنا - **فَإِذَا عَرَفُوهُم فَقَدْ غَفَرُوا لَهُم.**

لأنَّ الآية غريبةٌ في تركيبها! **﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّه﴾!**

هذا أنتم، أنتُم الَّذين لا تعتقدونَ بالرَّجْعَة فلا تَرجونَ الرَّجْعَة، وهذا أنا الَّذي أُعلِّمُكم، وهذا هو توفيقُ صاحب الأمر، وأنتم يُمكنكم أن تتعلَّموا وأن تُعلِّموا غيركم، وأن تغفروا لغيركم، فالفضلُ ليس لي، الفضلُ لإمامِ زماننا، بتوفيقه تعلَّمتُ قرآنهم بتفسيرهم وها أنَّي أُعلِّمكم وأنتم أيضاً بتوفيقِ إمامِ زماننا تتعلَّمون هذه الحقائق فعلِّموها لغيركم، انشروا هذا الفكر.

أقرأ عليكم من الزيارة المخصوصة الأولى من زيارات الحُسَين بحسبِ تبويبِ وترتيبِ (مفاتيح الجنان)، الزيارةُ الَّتي نقرؤها في شهرِ رجب وفي شهرِ شعبان أيضاً ماذا نُخاطب الحسين في هذه الزيارة؟

يَا أَبَا عَبْد الله، أَشْهَدُ لَقَد اقْشَعَرَّت لدمَائكُم أظلَّةُ العَرْشِ مَعَ أظلَّة الخَلَائق - هذه قضيّةٌ تكوينيّة، مباشرةً ما إنْ بدأ المشروعُ الحُسينيّ في التنفيذ على أرض كربلاء بدأت الدماءُ تفور، وحَينَما بدأتَ الدماء تفور وتُسْفَحُ الدماء ويُسْفَكُ النَّجيع ظهرت هذه العلائمُ في التكوينِ، نحنُ ما رأيناها، سادةُ التكوينِ يُخبروننا.

"يَا أَبَا عَبْد الله أَشْهَدُ لَقَد اقْشَعَرَّت لدمَائكُم أظلَّةُ العَرْش مَعَ أظلَّة الخَلَائق"؛ هذا في عالمِ الغَيب.

"وبَكَتْكُم السَّمَاءُ وَالأَرْض"؛ هذا في عالَمِ الشهادة.

إنَّهُ التكوينُ بكُلِّه الوجود بكُلِّه. - **وَبَكَتْكُم السَّمَاءُ وَالأَرْض وَسُكَّانُ الجِنَانِ وَالبَرّ وَالبَحْر** – إنْ أُريدَ من سُكَّان الجنانِ في زمنِ الواقعة فالمرادُ من سُكَّان الجنانِ الملائكةُ والحورُ والولدانُ وسائرُ المخلوقات الأخرى، وإن أُريدَ بعيداً عن قيود الزمانِ فإنَّ المراد من سُكَّانِ الجنان الَّذين سيكونونَ خالدينَ فيها، لكنَّ الكلامَ هنا يتجاوزُ حدودَ الزَّمانِ والمكان، سيكونُ هناك عمقٌ بعيد.

وهذا المضمونُ يتكرَّرُ في زيارة النَّاحية المقدَّسة:

في الجزء الثامنِ والتسعين من (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي/ طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان: **فَانْزَعَجَ الرَّسُول** - لمُصاب سَيِّد الشُّهَداء - **فَانْزَعَجَ الرَّسُول وَبَكَى قَلبُهُ الْمَهُول وَعَزَّاهُ بِكَ الْمَلَائكَةُ وَالأَنْبِيَاء وَفُجِعَت بِكَ أُمُّكَ الزَّهْرَاء وَاخْتَلفَت جُنُودُ الْمَلَائكَة الْمُقَرَّبِين تُعَزِّي أَبَاكَ أَمِير الْمُؤْمنِين وَأُقِيمَت لَكَ الْمَآتمُ فِي أَعْلَى علِيِّين وَلَطَمَت عَلَيكَ الْحُورُ الْعِين وَبَكَت السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا وَالجِنَانُ وَخُزَّانُهَا وَالْهِضَابُ وَأَقْطَارُهَا وَالْبِحَارُ وَحِيتَانُهَا وَالْجِنَانُ وَوِلْدَانُهَا** - حديثٌ عن جنانِ الخُلْود وعن جنانِ البرزخ - **وَالجِنَانُ وَخُزَّانُهَا** - جِنانُ الخُلْود - **وَالْجِنَانُ وَوِلْدَانُهَا** - جِنانُ البرزخ - **وَالْبَيْتُ وَالْمَقَام وَالْمَشْعَرُ الْحَرَام وَالْحِلُّ وَالإِحْرَام** - كُلُّ شيءٍ بكى، وهذا البكاء نحنُ لا نشعر به، قضيّةٌ تكوينيّةٌ عميقة، هذه المضامينُ لم يرها أحد لم يسمع بها أحد، هذه الزياراتُ ما هي بنصوصٍ تتحدَّثُ عن مضامينَ لا حقيقةَ لها، هذه حقائق، نحنُ لا نتلمسها.

في الزيارة المطلقة الأولى:

من زيارات الحُسَين بحسبِ تبويبِ وترتيبِ (مفاتيح الجنان) وهي مرويّةٌ عن إمامنا الصَّادقِ ومن أشهرِ زياراتِ الحُسين، ماذا نقرأ في هذه الزيارة الشريفة؟: **"أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْد"**.

حتَّى هذا التعبير **"السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وِتْرَ الله الْمَوتُور فِي السَّمَاوَات وَالأَرْض"**، وترٌ مَوتُور! ليس الحديثُ عن حالةٍ بشريّةٍ عاديّة، ليس الحديثُ عن جريمةٍ اجتماعيّة، ليس الحديثُ عن موقفٍ سياسيٍ معيّن، هذه قضيّةٌ ترتبطُ في أعماق التكوين.

-**أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْد وَاقْشَعَرَّتَ لَهُ أَظلَّةُ الْعَرْشِ وَبَكَى لَهُ جَمِيعُ الخَلَائق** - جميعُ الخلائق في عالمِ الغَيبِ وفي عالمِ الشهادة - **وَبَكَت لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْع وَالأَرَضُونَ السَّبْع وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّة وَالنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا** - في زمنِ الواقعة أو عبر تلاشي الأزمنة - **وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى** - هذه الحقائقُ كيف نفهمها؟ لن نستطيعَ فهمها إلَّا وفقاً للمسارِ التكويني عبر أيَّام الله.

-**أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ الله وَابْنُ حُجَّتِه** - هذه الحُجيَّةُ الساريةُ في جميعِ أجزاءِ الكون "وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم".

في سورة الأنعام:

الآية الثامنة والثلاثين بعد البسملة: **﴿وَمَا من دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾**، ما هذه الحيواناتُ تعيشُ معنا وهي تحتَ سيطرتنا لكنَّنا هل نُدرِكُ هذه الحقائق الَّتي يتحدَّثُ عنها القرآن؟

هذا يعني أنَّ لها نظَام، أنَّ لها رؤساء، أنَّ لها قوانين، أنَّ لها ولها ولها "إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم".

- **ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾**، هناك حشرٌ لهذه الأمم.

وهذا المضمونُ جاءنا أيضاً في سورة التكوير، في الآية الخامسة بعد البسملة: **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾**، القُرآنُ هُوَ هُوَ، الحقائقُ هي هي، هل نحنُ نُدرِكَ أنَّ الوحوش هذه تعتقدُ بمحشرٍ وبيومِ قيامةٍ ومن أنَّها ستُحشَر؟!

في سورة النور:

الآية الحادية والأربعين بعد البسملة: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾**، ماذا نُدرك من هذه المضامين؟

هذا التواصلُ التكوينيّ مع الله هو تواصلٌ تكوينيّ مع مُحَمَّد وآل مُحَمَّد لأنَّ الله خلق الكونَ لأجلهم وفي محبّتهم، وهذا المضمونُ من بديهيّاتِ عقائدنا، فهذه المجرياتُ في أوَّلها في آخرها في ظاهرها في باطنها عائدَةٌ إليهم.

في سورة الإسراء:

الآية الرابعة والأربعين بعد البسملة: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ** - تُسبِّحُ للَّه - **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ** - كُلُّ الأشياء - **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ** - "وَبَكَى لَهُ جَمِيعُ الخَلَائِق، جَمِيعُ الخَلَائِق وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى" - **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾، فمثلما هذه الصورُ وردت في الكتابِ الكريم هذه الصورُ وردت في الأدعيةِ والزيارات. -**إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾.

في سورة الدخان:

الآية التاسعة والعشرين بعد البسملة، في قصّة قوم فرعون: ﴿**إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ**﴾، بعد أن غَرِقوا، فما الَّذي جرى؟ ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين**﴾ ، ما بكت عليهم السّماء والأرض، فالسّماء تبكي والأرضُ تبكي، وهذا الانفعالُ التكويني لهُ أسبابهُ، حينما غَرِقَ فرعونُ وجنودهُ لم يكن هناكَ من أثرٍ تكويني بسببِ الَّذي جرى على السَّماء والأرض.

لكنِ في كربلاء في مركزِ برنامجِ الخلافة الإلهيّة وحيثُ فُتحَت بوّابةُ المسار التكوينيّ لمجريات ما سيلتقي في نقطة التواصل ما بين عوالمِ الغيبِ والشهادة، يا حسين - **أَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ الله وَابْنَ حُجَّته وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَتيلُ الله وَابْنُ قَتيله وَأَشْهَدُ أَنَّكَ ثَارُ الله وَابْنُ ثَاره وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وِتْرُ الله الْمَوْتُور فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** - هذا الانفعالُ التكوينَي إنْ لم نَسْتَجِب لهُ، والاستجابةُ بالتمهيدِ لإمامِ زماننا، إن لم نستجب لهُ فإنَّنا سنكونُ جُزءاً مُعانِداً تكوينياً.

ولذا في الزيارة نفسها اقرؤوا:

في الزيارة المطلقة الأولى في (مفاتيح الجنان):"**وَبِكُم يُدْرِكُ اللهُ تِرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ يُطْلَبُ بِهَا** "، "يُطْلَبُ بِهَا"؛ أنا أُطْلَبُ بِها، وأنتم تُطْلَبُونَ بها، هذه التِّرَة أتعلمون ما معناها؟ التِّرَةُ هي الوِتْر، هي الثَّأر، فهناك ثَأرٌ للحُسَين في أعناقنا، هناك حقٌّ للحُسين في أعناقنا، علينا أن نُسدِّدهُ، الخدمةُ الحُسينيّةُ جزء من ذلك ولكن لا أن تخدموا حُسين السيستاني أو حسين الشيرازي أو حسين حزب الدعوة، الحُسَينُ الَّذي يجبُ عليكم أن تخدموه وأن تتخلَّصوا من هذه التِّرَة من هذا الحقّ، هذه قضيّةٌ تكوينيّةٌ عميقةٌ، هذا هو الَّذي قصدتهُ من أنَّ الرّجْعَة العظيمة مسارٌ تكوينيّ ما هي بمسارٍ سياسيٍ أو اجتماعي، ومن أنَّ المشروعَ العاشورائي في الطفوف جنبتهُ التكوينيّةُ هي الجنبةُ الأعلى، الجانبُ السياسيّ الاجتماعيّ العقائديّ الديني موجودٌ لكنَّهُ في الحاشية والدليلُ هذه النصوص.

أعمالنا يمكنها أن تُفسد التكوين، ويُمكنها أن تُصلح التكوين، مرّت علينا الآيةُ: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** - بأيِّ شيء؟ - **بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾، والأئمَّةُ بيّنوا لنا مضمونَ الآية: "من أنَّ ذلك حَدَثَ حين قالت الأنصار منَّا أميرٌ ومنكُم أمير"، إنَّها سقيفةُ بني ساعدة.

هناك حقٌّ للحُسين لابُدَّ أن نُسدِّدهُ، وهذا الحقُّ تسديدهُ في يوم القيامة تسديدٌ عسير، الرَّجْعَةُ مسارٌ للَّذين محضوا الإيمان، والحُسَينُ قيامتهُ بعد الرّجعة، هذه المطالبُ كُلُّها تأتي في منظومة واحدة، يرتبطُ بعضُها بالبعضِ الآخر.

حينما نقرأُ في زيارات الحُسَين في الزيارة المخصوصة الأولى بحسبِ تبويبِ مفاتيح الجنان: **أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّر** - ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

- "**أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ**"؛ في ذاته.

- "**طَاهِرٌ**"؛ في صفاته.

- "**مُطَهَّرٌ**"؛ في أفعاله.

من أين جئتَ يا حُسَين؟ - **منْ طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ، طَهُرْتَ** - السِّياقُ يقتضي ذلك - **طَهُرتَ** - بِكُلِّ تلك المقامات - **وطَهُرَتْ بِكَ الْبِلَاد** - البلادُ ما كانت طاهرةً وإنَّما طَهُرَت بك، والبلادُ لا يُقالُ لها بلاد إن لم يكن فيها بشر، فلا يُقالُ للصحراء الخاليةِ من النَّاس يُقالُ لها بلاد، يُقالُ لها أرضٌ خالية.

طَهُرْتَ وَطَهُرَتْ بِكَ الْبِلَاد وَطَهُرَتْ أَرْضٌ أَنْتَ بِهَا - هذه أرضُ كربلاء لها خصوصيّةٌ مَا هي جزءٌ من البلاد، لكنَّ الحديثَ هنا عن تُربةِ كربلاء، وإلَّا فكربلاء جزءٌ من البلاد، لكنَّ أرضَ كربلاء لها خصوصيّةٌ فهي أرضٌ جنانيّةٌ ومصيرها أن تعود إلى الجنان.

- **وَطَهُرَ حَرَمُكَ** - خصوصيّةٌ لحرمك، ليس الحديثُ هنا عن حرمِ الحُسين عن المكان الَّذي يُقالُ لهُ الحرم في زماننا، حَرَمُ الحُسَين قلبهُ، وتاجهُ قبرُ الحُسين، لكنَّ حرم الحُسَين يمتدُّ إلى كُلِّ الأرض الَّتي مشى عليها الحُسين، أيَّ مكانٍ داسهُ الحُسينُ بأقدامهِ أو بحافرِ جوادهِ هو هذا حرمُ الحُسَين، إنَّها الأرضُ الَّتي مشت عليها عقيلةُ بني هاشم هذا هو حرمُ الحسين.